

تفسير ابن كثير

* يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ

الْمُسْرِفِينَ

هذه الآية الكريمة رد على المشركين فيما كانوا يعتمدونه من الطواف بالبيت عراة ، كما رواه مسلم والنسائي وابن جرير - واللفظ له - من حديث شعبة ، عن سلمة بن كهيل ، عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : كانوا يطوفون بالبيت عراة ، الرجال والنساء : الرجال بالنهار ، والنساء بالليل . وكانت المرأة تقول : اليوم يبدو بعضه أو كله وما بدا منه فلا أحله فقال الله تعالى : (خذوا زينتكم عند كل مسجد) . وقال العوفي ، عن ابن عباس في قوله تعالى (خذوا زينتكم عند كل مسجد) الآية ، قال : كان رجال يطوفون بالبيت عراة ، فأمرهم الله بالزينة - والزينة : اللباس ، وهو ما يوارى السوءة ، وما سوى ذلك من جيد البز والمتاع - فأمروا أن يأخذوا زينتهم عند كل مسجد . وكذا قال مجاهد ، وعطاء ، وإبراهيم النخعي ، وسعيد بن جبير ، وقتادة ، والسدي ، والضحاك ، ومالك عن الزهري ، وغير واحد من أئمة السلف في تفسيرها : أنها أنزلت في

طوائف المشركين بالبيت عراة. وقد روى الحافظ بن مردويه ، من حديث سعيد بن بشير والأوزاعي ، عن قتادة ، عن أنس مرفوعا; أنها أنزلت في الصلاة في النعال . ولكن في صحته نظر والله أعلم . ولهذه الآية ، وما ورد في معناها من السنة ، يستحب التجمل عند الصلاة ، ولا سيما يوم الجمعة ويوم العيد ، والطيب لأنه من الزينة ، والسواك لأنه من تمام ذلك . ومن أفضل الثياب البياض ، كما قال الإمام أحمد : حدثنا علي بن عاصم ، حدثنا عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " البسوا من ثيابكم البياض ، فإنها من خير ثيابكم ، وكفنوا فيها موتاكم ، وإن من خير أكحالكم الإثم ، فإنه يجلو البصر ، وينبت الشعر " هذا حديث جيد الإسناد ، رجاله على شرط مسلم . ورواه أبو داود ، والترمذي ، وابن ماجه ، من حديث عبد الله بن عثمان بن خثيم ، به وقال الترمذي : حسن صحيح . وللإمام أحمد أيضا ، وأهل السنن بإسناد جيد ، عن سمرة بن جندب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " عليكم بالثياب البياض فالبسوها; فإنها أطهر وأطيب ، وكفنوا فيها موتاكم " وروى الطبراني بسند صحيح ، عن قتادة ، عن محمد بن سيرين : أن تميم الداري اشترى

رداء بألف ، فكان يصلي فيه .وقوله تعالى : (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب
المسرفين) الآية . قال بعض السلف : جمع الله الطب كله في نصف آية : (وكلوا
واشربوا ولا تسرفوا) .وقال البخاري : قال ابن عباس : كل ما شئت ، والبس ما شئت ،
ما أخطأتك خصلتان : سرف ومخيلة .وقال ابن جرير : حدثنا محمد بن عبد الأعلى ،
حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : أحل
الله الأكل والشرب ، ما لم يكن سرفاً أو مخيلة . إسناده صحيح .وقال الإمام أحمد :
حدثنا بهز ، حدثنا همام ، عن قتادة ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا ، في غير مخيلة
ولا سرف ، فإن الله يحب أن يرى نعمته على عبده " ورواه النسائي وابن ماجه ، من
حديث قتادة ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال : " كلوا وتصدقوا والبسوا في غير إسراف ولا مخيلة " وقال الإمام أحمد :
حدثنا أبو المغيرة ، حدثنا سليمان بن سليم الكناني ، حدثنا يحيى بن جابر الطائي سمعت
المقدام بن معديكرب الكندي قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " ما

ملاً آدمي وعاء شرا من بطنه ، حسب ابن آدم أكالات يقمن صلبه ، فإن كان فاعلا لا محالة ، فثلث طعام ، وثلث شراب ، وثلث لنفسه "ورواه النسائي والترمذي ، من طرق ، عن يحيى بن جابر ، به وقال الترمذي : حسن - وفي نسخة : حسن صحيح .وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده : حدثنا سويد بن عبد العزيز حدثنا بقية ، عن يوسف ابن أبي كثير ، عن نوح بن ذكوان ، عن الحسن ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن من السرف أن تأكل كل ما اشتهيت "ورواه الدارقطني في الأفراد ، وقال : هذا حديث غريب تفرد به بقية .وقال السدي : كان الذين يطوفون بالبيت عراة ، يحرمون عليهم الودك ما أقاموا في الموسم; فقال الله تعالى لهم : (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين) يقول : لا تسرفوا في التحريم .وقال مجاهد : أمرهم أن يأكلوا ويشربوا مما رزقهم الله .وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : (ولا تسرفوا) يقول : ولا تأكلوا حراما ، ذلك الإسراف .وقال عطاء الخراساني ، عن ابن عباس قوله : (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين) في الطعام والشراب .وقال ابن جرير : وقوله : (إنه لا يحب المسرفين) يقول الله : إن الله تعالى لا يحب المتعدين حده في حلال أو

حرام ، الغالين فيما أحل أو حرم ، بإحلال الحرام وبتحريم الحلال ، ولكنه يجب أن
يحلل ما أحل ، ويحرم ما حرم ، وذلك العدل الذي أمر به .